

ديزيره سقال

ديزيره سقال

المعلقة الخامسة

(أو كتاب التلوين)



المعلقة الخامسة

٢٠١٤

نُورٌ عَلَى نُورٍ ...

كَأَنَّ اللَّهَ فِي هَيْمَانِنَا الْمَفْتُوحِ لِلدُّنْيَا
يُبَارِكُ رِحْلَةَ الْأَلْقِ الَّتِي لَا تَنْتَهِي،
وَكَأَنَّمَا الْأَلْقُ

يَمْتَا حُ مِنْ عَيْنَيْكَ

مَا يُعْطِيهِمَا الْإِشْرَاقَ مِنْ رُوحِي
وَيَغْرُقُ فِيهِمَا،

وَكَأَنَّمَا الشَّفَقُ

لَا يَقْرَأُ الدُّنْيَا

سِوَى حَرْفِ بَرُوحَيْنَا

أَشَدَّ سَنَا مِنَ النُّورِ

الَّذِي يُغْرِي الصَّلَاةَ بِنَا

وَيَأْتَلِقُ ...

رسم الغلاف: (نرسييس)

بريشة الفنان: وجيه نحلة

الطبعة الأولى

٢٠١٤



بيروت - لبنان / هاتف + فاكس ٨٢٣٤٥٨ / ٠١

هاتف: ٣١٢٧٣٣ / ٠١ ص.ب.: ١٣٦١٠١

المعلقة الخامسة

(أَوْ كِتَابِ التَّوْبَةِ)

ديزيره سقال

المعلقة الخامسة

(أو كتاب التلوين)

رسم الغلاف: (نرسييس)

بريشة الفنان: وجيه نحلة

الطبعة الأولى

٢٠١٤

مقدمة

ما اعتدت الكتابة إلا عن نصوص أحببتها؛ غير أنّ
المفارقة، بالنسبة إلى الشعر، أنّي بقدر ما أحبّ قصائد
منه، أخشى الكتابة عنها؛ ومرّد ذلك إلى امتناعي عن
استدراج القصيدة المتألّقة الحارّة إلى منطقة الفكر
البارد... وهذه هي حالي مع مطوّلة الشاعر الصديق
ديزيره سّقال. وفي الواقع، أحبّد أن يجاهد القارئ لوضع
نفسه في منطقة نفوذ القصيدة، خالغاً عنه كلّ «اهتمام
يوميّ دنيويّ»، ليلتقط إشاراتها، فينتقل إليه «دازاينها»
الشعريّ...

ومع كلّ ذلك، فسأقدّم ما ألتقطه من خلال تساؤلات وأجوبة اقترايية، علماً بأنّي لن أحصر تقديمي بدراسة أكاديميية، ولو فعلت لاحتجت إلى عشرات الصفحات، بل سأجعله نافذة لانبثاق قراءات منهجيية مغرية جدّاً لها...

والتساؤل الأساس هو: كيف استطاع الشاعر أن يقدم مطوّلة شعريية بهذا الحجم، محافظاً على شعرييتها، وتماسكها، وترابطها، وشحنها الرويوي؟

أدعي أنّ للقصيدة نغماً أساساً، يتمثّل بتمزّق الروح من انشطار الذات، وتبددها في كون مكانيّ / زمنيّ فإن

ومحدود، اشتهاً لتوحدها «الوحداني»، ما كشف عن
تحقق الاشتهات الرؤيوية في كون الديمومة الأثيري،
حيث يلتمّ مثلث الشاعر الأقنومي في وحدانيته: ذاته
الذكورية، وذاته الطيفية الأثنوية/ ذات الحبيبة، وقصيدته
النورانية المتألّقة، بعد ولوجه ألق النور، وبلوغه إنسانه
الأعلى حيث راح يتواتر...

والشاعر يُصدر قصيدته عن حلم مستحيل بالخروج
على محدوديته ونقصانه الناتجين عن انشطار ذاته، إلى
كون الديمومة الفردوسي، بعد التئام ذاته الذكورية مع
ذاته الأثنوية، وسيطه إلى ذلك العشق المصفى؛ وقد
انتظم كلّ ذلك في رؤيا نسجتها معاناته وخبراته وثقافته،

فهو مسكون بآباء طيفيين، سدّوا فيه نقصانه، وأسعفوه على تحقيق مأموله وامتلائه الطيفي، ومنهم: أفلاطون في الصعود الأمثل؛ وفيثاغور في الواحد المتوحد، وامتلاء الكون بأنغامه؛ وأبو حيان التوحيدي فاصلاً بين عالم التكثر وعالم الوحدة؛ ونيتشه في العود الأبدي للإنسان الأعلى؛ وهولدرلين في احتمال الحياة عبر السكن بطريقة شعريّة؛ وهيدغر في اعتبار الشعر إنشاءً للاشتياقات الإنسانيّة العليا، وللذات التاريخيّة؛ والتوراة في خلق الأنثى من ضلع الذكر؛ والإنجيل في انبثاق الإلهي المثلث الأقنومي نوراً من نور؛ والقرآن في «سورة النور»، حيث الله نور السماوات والأرض مثل نوره...

«نور على نور»^(١)؛ فضلاً عن مختلف مذاهب الحلول والارتقاء... والمطوّلة متحاورة مع أولئك مجتمعين... وما يدهشك في هذه المطوّلة تضافر مستوياتها، وتحولاتها، والتحام الشعرية مع السردية فيها، وبنائها المتدرّج الدرامي من صوتين خفيين فيه: ذكوري وأنثوي، وارتقاؤها حتى اكتمال التوحد الديمومي الاحتفالي...

أولاً، التحوّلات: وهي كثيرة ومختلفة، أبرزها: من عذابات الانشطار، إلى فرح الالتقاء والتوحد؛

(١) النور / ٢٥.

ومن الانحدار ومحدوديّة المدى والعمر والمكانيّ/
الزمنيّ، إلى الارتقاء في المعارج النورانيّة نحو اللاعمر،
واللانهائيّة والآماد، واللامكانيّ/ اللازمانيّ، والكون
الأثيريّ، والألق الفردوسيّ الخالد؛ ومن احتمال
الانفصال بوساطة الشعر، إلى الامتزاج بكون شعريّ،
مصنّف، تجسيداً لدمج الذاتين؛ ومن فقدان إلى
الامتلاء؛ ومن التبدّد إلى الواحد الأصل؛ ومن الأرض
المعتمة، إلى الأرض السماويّة النورانية، وعالم الألق
والوهج؛ ومن نسل الموت إلى الخلود... ووسائطه
عديدة: الرفض، والتجاوز، وقراره، وشعره المتألق،
وعشقه النورانيّ، وعينا أنثاه بعد مزجه ذاته الأنثويّة

بذاتها... أمّا إواليات قراءتنا فتستند إلى القراءة عن طريق البناء، وإلى تشغيل تقنية الإبدالات - واللافت أنها، وإن قامت على التشابه، فإنّها حملت زيادات وتحولات، على غرار: «التوحد - الائتمات - الكيان الواحد - ذاتان في ذات - ضوءان من سَمْتِ الوجود - روحان في روح - أنا وأنتِ شرارة - عُمرانِ في عمر - عُمرانِ في اللاعمر - عُمرانِ يسكنان لون الروح وعالم الرفض - عُمرانِ أصفى من أثير - ذاتانِ في ذات وعمر جامع أقوى من العمر المكبّل بالحديد - الذات ليل أبيضُ - أصفى من السناء... / أوسع من صلاة/ تبرق فيها الروح - عُمرانِ... أصفى من سنا التكوين... في فجر التوحد -

حُلْمَانِ أَخْضِرَانِ - أَنَا وَأَنْتِ خَطْرَةٌ نَابِضَةٌ فِي رِئَةِ الْوَجُودِ
- عُمْرَانِ فِي عَمْرِ وَلَا حَدًّا لَنَا... لَا شَيْءَ بَيْنَنَا... لَا شَيْءَ
يُوقِفُ ارْتِقَاءَنَا إِلَى مَحْجَةِ الْخُلُودِ - أَنَا وَأَنْتِ خَطْرَةٌ مِنْ
فَرَحِ الْفَرْدُوسِ.. وَنَفْسِ الْقَدِيرِ - نُورِ عَلِيٍّ نُورِ - أَلْقِ عَلَيَّ
أَلْقِي - أَنَا وَأَنْتِ قِصَّةٌ مِنْ فَرَحٍ... مِنْ حَلْمٍ... مِنْ عَرَسٍ
حَلْمِنَا الْمَدِيدِ... أَرْوَعُ مِنْ غَرَابَةِ التَّكْوِينِ... أَقْوَى مِنْ
الْمَكَانِ - أَنَا وَأَنْتِ شَعْلَةٌ... وَطَنٌ لِلْأَلْقِ... لُغَةٌ جَدِيدَةٌ
لِلشَّعْرِ/ لِلْمَعَارِجِ الْمَضِيئَةِ لِلنُّورِ... حُرُوفُهَا زَوْبَعَةٌ تَجَدَّدُ
الْإِنْسَانَ/ تَفْتَحُ بَابَ الرِّفْضِ وَالْخَطِيئَةِ... تَنْزِلُ مِنْ فَوْقِ
إِلَى أَرْضِ الْبَشَرِ لِنَبْدَأِ الْقَصِيدَةَ - رُوحٌ وَرُوحٌ فِي كِيَانِ
وَاحِدٍ... أَرِّخْ لِلْعَشْقِ وَفَاضْ فِيهِ الشَّعْرَ». وَالْمَتَأَمَّلْ بِتِلْكَ

الإبدالات يلحظ بسهولة التدرّج والتحوّلات الارتقائية
في المطوّلة...

ثانياً، الإيقاعات: والمطوّلة نموذج لتوظيفات إيقاعيّة
لا يبلغها إلاّ عليم وخبير؛ ولا غرو في ذلك، فالشاعر أستاذ
جامعيّ أشرف وناقش عشرات الرسائل والأطاريح،
ولاسيّما ما كان موضوعها شعريّاً...

ولقد استخدم الشاعر في أناشيد مطوّلته التسعة
تفعيلات بحرين: الكامل (متفاعلن) والرجز (مستفعلن)،
واللافت هنا أنّ تفعيله الـرجز هي الجواز الوحيد لتفعيله
الكامل، وأنّ للرجز ثلاثة جوازات كلّها غير مقبولة
في الكامل، وأنّ لكلا البحرين تفعيلات مختلفة في

تقفيتهما. ولقد استهلَّ الشاعر مطوَّلتَه بتفعيلة الكامل، لما يتحمَّل من الشدَّة والكمال والقرار؛ إذ حمَّله المرفوض والمنشود، أي مأمولَه بنبرة القرار والرؤية الواثقة، وقد خصَّصه الشاعر لصوت الذات الذكوريَّة فيه المتشهيَّة بلوغ ذاتها الأثويَّة الطيفيَّة، متيقِّنا من تحقيق التحام ذاتيَّه، وإن تجسَّدت ذاته الأثويَّة في ذات أنثى ولج إليها عبر عينيها. وما يدهشنا هنا أنَّ الرجز، منبثقًا من الكامل، خصَّصه الشاعر لذاته الأثويَّة، أو صوت أنثاه منبعثًا منه؛ وكم بدا الشاعر بارعًا حينما انتقل من الكامل إلى الرجز، بشكل تناوبي يرافق تطوُّر الرؤيا، ولاسيَّما عندما جعل في تقفية الكامل تفعيلة الخبب («فَعِلُنْ»): الألق - الشفق -

يأتلق - تصطفق - تنبثق) لتوقيع الطرب العالي المكتمل
بزهو التحقق الالتحامي والوحدانية، فيما جعل في تقفية
الرجز جواز الخبب («فَعْلُنُ» : أَعْنِيَه - جَنِّيَه - سَمَاوِيَه -
حورِيَه - علويَه - زهريَه) وهو المسمى، بتواتره، دقّ
الناقوس، لما يحمل من أنغام الحنان، والغناء الشجيّ،
صادرًا من الأعماق...

والأكثر إدهاشًا، أن انبثاق «الرجز» من الأصل
«الكامل» - وهو فيه تابعه، ليصبح، لاحقًا، أصلًا في
ذاته - شبيهٌ بانبثاق الأنثى من ضلع الرجل، وهذا ما
يسوّغ اختيار التفعيلتين... ولكي يكتمل التناصّ الخلقِيّ
المتألّه، جعل الشاعر الثمام الذاتين: الذكوريّة والأنثويّة

فيه لا يكتمل ألقه الإشراقيّ الإشعاعيّ وتجسّده بسوى
روح الشعر النقيّ الصافي المتألّه... وبالتحام أقنومه
المثلث، حقّق الشاعر ديمومته، وأنشأ عالمه الفردوسيّ
العشقيّ العالّيّ...

وتماسك المطوّلة ظاهر من خلال تواتر مفردات
أساسيّة فيها كالمدى، والنور، والتوحد، والارتقاء،
والروح، والعينين، والعشق، فضلاً عن حقول معجميّة
واسعة لكلّ منها، وتضافرها في شبكة معجميّة كبرى،
ومن خلال الإبدالات العديدة النامية... أمّا ترابط المطوّلة
فجليّ من خلال بنيتها الدلاليّة الكلّيّة، وإمكان تحويلها
كلّها إلى متتالية حجاجيّة كبرى واحدة، واختزاليّتها

عبر مخطّط عامليّ مكتمل العناصر، لن أفصلها، تفادياً
للإطالة...

وبكوني، على ما قلت، لا أنجز مقارنة أكاديميّة،
بل أقدم مطوّلة الشاعر وحسب، مفسّحاً المجال
لقراءات مختلفة، لم أتناول هندسة القصيدة الإيقاعيّة
بوجوهها المختلفة، من متوازنات ومتوازيات، وبوّة
وأماج، وتنسيقات صوتيّة، كما لم أتطرّق إلى صورها
وتضميناتها الغنيّة ورموزها؛ فكلّ ذلك، على ما أعتقد،
سيكون موضوعاً لدراسات أكاديميّة عديدة...

٢٠١٣ - ٨ - ١٨

أ.د. نبيل أيوب

- ١ -

مُتَكَسِّرًا فِي ذَاتِي الْبِيضَاءِ
أَرْحَلُ فِي دَمِي،
وَيَمْضُنِي أَلْمُ التَّوَحُّدِ فِي انْكِشَافَاتِي،
وَيَخَذُلْنِي فَمِي ...

كَيْفَ انْبَثَقْتُ لِذَاتِي الْأُخْرَى
فَشَلَّانِي الزَّمَانُ،

وَتَحَوَّلْتُ ذَاتِي إِلَى سُكْنِي
يُجَرِّحُهَا اشْتِهَاءُ الْمَسْتَحِيلِ،
وَذَاتِي الْأُخْرَى يُحَاصِرُهَا الْمَكَانُ؟!
كَيْفَ التَّأَمَّتُ
فِصَارِعَ الزَّمَنِ التَّئَامَاتِي،
وَأَرَّخَ لِلجُحُودِ تَوَاصُلًا
بَيْنِي وَبَيْنِي
فَاسْتَمَدَّ الدَّفَاءَ مِنْ ذَاتِي الْأَمَانُ؟
زَمْنٌ بِلَا وَجْهِه...

يُحَفِّرُنِي بِسِكِّينِ الْمَسَافَةِ،
يَقْطَعُ الْأَوْصَالَ فِي ذَاتِي،
وَلَكِنِّي أَحْصَنُ ذَاتِي الْأُخْرَى بِذَاتِي،
أَحْتَمِي بِالشِّعْرِ،
أَنْصُبُهُ سِيَاجًا مِنْ أَثِيرٍ...
ثُمَّ يَتَبَدَّى الرَّهَانُ:
ذَاتِي وَذَاتِكَ وَاحِدَانِ
عَلَى امْتِدَادِ الْوَاقِعِ الْمَزْرُوعِ بِالْأَفْخَاخِ،
يَحْتَضِنَانِ فَوْقَ الْوَقْتِ

أَحْلَامَ التَّلَاقِي
حَيْثُ يَبْتَدِئُ الزَّمَانُ...

مُتَكَسِّرًا فِي ذَاتِي الْبِيضَاءِ
أَرْحَلُ فِي دَمِي،
وَالْوَاقِعُ الْمَخْتَالُ فِي الْفُقْدَانِ
يَشْطُرُنِي...
كَأَنِّي لَمْ أُبَارِحْ وَحَدَاتِي
وَكَأَنِّي لَمْ أَحْلُمِ...!
لَكِنَّ وَجْهَكَ وَهُوَ يَسْكُنُنِي

يُواجِهُ لعنةَ الفُقدانِ،
يَحْمِلُنِي إليه...
فَأَطْرَحُ المحدودَ مِنْ ذاتِي،
وَأَرْبُطُها بِفِرْدَوْسِ الصَفَاءِ
وَنُورِهِ المَتَكَوِّمِ
وَأَظَلُّ أَنمو في مَجالِكَ
حَيْثُ نَفْتَرِشُ التَّكاملَ
في الكِيانِ -
مَعًا كِيانًا واحِدًا

فِي مُسْتَحِيلِ الظَّنِّ
يَكْتَشِفُ الْمَدَى خَلْفَ الزَّمَانِ
وَخَلْفَ حَدِّ الْوَاقِعِ الْمَتَلَعِثِمِ...
وَمَعًا نَمْرٌ عَلَى حُدُودِ الْعَالَمِ
الْمَسْكُونِ بِالنَّقْصَانِ،
نَجْعَلُهُ اكْتِمَالًا فِي مَعَارِيحِ الرُّؤْيَى...
وَمَعًا نَمْرٌ عَلَى حُدُودِ الْوَعْيِ
نَمْسَحُهُ بِزَهْوِ شَبَابِنَا الْمَجْنُونِ،
نَكْسِرُهُ بِأَحْلَامِ الْبَرِيقِ النَّائِمِ.

كَمْ مَسَّنَا خَدْرُ الْجَنُونِ

فَرَدَّنَا قَبَسًا،

وَأَزَكَّى لَوْنًا وَحَدَّثَنَا

فَطَارَ الْأَبْيَضُ النَّارِيُّ

عَبْرَ فِضَائِنَا نَحْنُ...

أَنْتَظِرْنَا أَنْ تَكُونَ وِلَادَةً خَلْفَ الزَّمَانِ

وَمَرَّتِ السَّنَوَاتُ...

أَثْقَلَ مِنْ سُكُونِ الْمَوْتِ:

خَمْسًا... ثُمَّ عَشْرًا...

واثنانٍ وأربعونَ ...
وَكَانَ أَنْ كَشَفَ الزَّمَانُ خِبَاءَهُ السَّتَارَ
واحترقَ التباعدُ في رِذاذِ الثلجِ،
وَإِنْبَثَقَتْ بِنَا الذَاتَانِ
مِنْ أَلْقٍ
وَمِنْ عَشْقٍ
تَفَتَّحَ فِي السَّدِيمِ الْهَائِمِ ...
كَشَفُ ... وَتَيْهٌ أَيْضُ
يَتَمَدَّدَانِ عَلَى الْمَدَى،

وَالْقَلْبُ قَلْبَانِ: اُسْتِعَالٌ

فِي هُدُوءٍ سَاجِمٍ

يَنْسَابُ كَالضَّوءِ الرَّقِيقِ

عَلَى ذَهْوِلِ الْحَاضِرِينَ -

أَنَا وَأَنْتِ ...

وَكُلُّ شَيْءٍ غَيْرُنَا عَدَمٌ.

وَتُولَدُ مِنْ تَوْحُّدِنَا الْقَصِيدَةُ

سِيرَةٌ بَيَّضَاءُ

تَخْتَصِرُ التَّوَارِيخَ الَّتِي حَفِظَتْ

تُراثَ العِشْقِ

أَوْ

وَلَجَّتْ قُلُوبَ العَاشِقِينَ.

وَأَنَا وَأَنْتِ قَصِيدَةُ التَّكْوِينِ

حِينَ يَصِيرُ نورًا فِي الوُجُودِ

مُجَنِّحًا بِأَرِيحِ قَلْبَيْنَا

وَأَقْوَى مِنْ فِخَاخِ المَوْتِ

فِي طُرُقِ السِّنِينَ.

كَيْفَ اخْتَرَقْنَا حَاجِزَ الوَقْتِ الثَّقِيلِ

وَشَدَّنَا التَّكْوِينَ فِي لَهْفٍ

يُحَاصِرُ مَا يَكُونُ...؟!

وَتَوَاتَرَتْ فِي الْوَاقِعِ الْمَذْهُولِ

أَحْلَامُ التَّجَاوُزِ -

كُلُّ حِلْمٍ بَاتَ فِرْدَوْسًا مِنَ الْأَنْوَارِ

يَخْفُقُ فِي فُتُونٍ...

فِي فُتُونٍ...

ذَاتَانِ مِنْ ضَوْءٍ

تَهَاوَى فِيهِمَا الْوَقْتُ الْعَتِيقُ

وَأَثَمَرَ الْعِشْقُ امْتِدَادًا
لِلشُّرُوقِ عَلَى الْمَدَى
وَتَفَتَّحًا لِلزَّهْوِ
فِي عُرْسِ الْجُفُونِ.

* * *

ذَاتَانِ فِي ذَاتٍ،
وَنَجْمَةٌ يَتِيمَةٌ تُزِينُ الْمَدَارَ،
تَنْسَابُ مِنْ عِشْقٍ
وَمِنْ أَلْقٍ

لِيُزْهِرَ الْوُجُودُ فِي الْقَرَارِ
وَيُشْرِقَ النُّورُ بِرُوحِهَا
مَتَى انبَثَقَ...

* * *

ذَاتَانِ فِي ذَاتٍ،
وَوَجْهَيِ الْجَدِيدِ
أَصْفَى مِنَ الْبُخُورِ،
عَيْنَاكَ فِيهِ عَالَمٌ شَرِيدٌ

وَالسِّحْرُ وَعَدُّ بِالنُّشُورِ...

* * *

ذَاتَانِ فِي ذَاتٍ...

فَكُلَّمَا نَظَرْتُ

يُنْكَسِرُ الْمَكَانُ وَالزَّمَنُ

وَتَبْدَأُ الْأَشْيَاءُ إِنْ أَشَرْتُ،

وَيُمسَحُ الشَّجَنُ...

الضوءُ يَجْمَعُ

مِنْ ضُرُوبِ الزَّهْرِ أَلْوَانًا

وَيَرْحَلُ فِي انْخِطَافَاتٍ دَفِينَةٍ،

وَأَنَا وَأَنْتِ رَهَافَةُ التَّارِيخِ

حِينَ تَصِيرُ خَالِيَةً مِنَ الْأَعْمَارِ،

مُتْرَعَةً بِأَحْلَامِ الرُّؤْيَى

وَرَحَابَةِ الْخَلْقِ الثَّمِينَةِ -

ضَوْءَانِ مِنْ سِمْتِ الْوَجُودِ

تَلَاقِيَا بَعْدَ افْتِرَاقٍ فَاجِعٍ

فَتَقَاطَعْتَ فِي الْوَجْدِ آفَاقَ الْحُبُورِ،

تَوْشَّحَ الزَّمَنُ الْمَسْجِيَّ

بِامْتِدَادِ الْإِلَهِائِيَّةِ:

كُلُّ عُمُرٍ

صَارَ أَلْوَانًا مِنَ الْفَرَحِ الدَّفِيقِ،

كُلُّ ثَانِيَةٍ تُبْرِعُ فِي طَرِيقِي

وَأَنَا رِسَالَتِكَ الَّتِي اخْتَصَرْتَ بِأَحْرَفِهَا

أَمْتِدَادَ الْإِنهَائِيَةِ
وَاحْتِرَاقَ الْوَقْتِ
فِي أَفْقِ الْخُلُودِ...
أَنَا ابْتِثَاقُكَ فِي رُبُوعِ الْإِلَازْمَانِ
وَقَدْ تَفَتَّحَ فِي الْحَرِيقِ
وَأَنَا وَأَنْتِ عَلَي سُفُوحِ الْخَلْقِ
حَرْفٌ رَائِعٌ
وَلَدَ الْحُرُوفَ جَمِيعَهَا،
وَتَوَاتَرَتْ فِيهِ الْقَصَائِدُ

مِثْلَ شَلَالٍ مِنَ الْأَلْوَانِ
تَخْتَصِرُ الزَّمَانَ عَلَى بَرِيقِي .

كُلُّ الْحُدُودِ

تَجَمَّعَتْ فِي نُقْطَةٍ أَزَلِيَّةٍ شَقْرَاءَ
أَصْفَى مِنْ مِيَاهِ الْكَوْثَرِ الدَّفَاقِ

عَبْرَ حُدُودِ ذَاتِنَا

وَمَدِّ اللَّانِهَائِيَّةِ .

كُلُّ مَا آخَى حُدُودَ الْخَلْقِ
يَخْرُجُ مِنْ تَأْلِفِنَا الرِّقِيقِ ...

ذاتان في ذاتٍ،

وَأَرْضٌ مِنْ أَثِيرِ مُشْبَعٍ بِالْوَهْجِ
يَسْكُبُهَا ذُهُولُ اللَّحْظَةِ الذَّهَبِيِّ.

أنتِ حَرَارَةُ الرُّؤْيَا

تَفِيضُ عَلَى الْمَدَى

وَأَنَا وَمِيضُ الْآنِ

حِينَ يُجَمِّعُ الْآبَادَ فِي أَعْمَاقِهِ

وَيُشَكِّلُ الْخُلْدَ الْمَجْمَعِ فِي الْعُرُوقِ.

ذاتان في ذاتٍ

وَجَنَاتٍ مِّنَ الشَّعْرِ الْمَصْفَى

عَبْرَ مِعْرَاجِ الْبُرُوقِ ...

قُرْآنِ أَحْلَامِ

وَأِنْجِيلِ مِنَ الصَّلَوَاتِ،

أَوْ

وَحْيٍ

تَنْزَلُ فِي حُرُوفِ الشَّعْرِ

مُفْتَتِحًا تَبَاشِيرَ الشُّرُوقِ ...

* * *

وَ حَيِّ يُضِيءُ فِي التِّئَامِنَا،
وَ فِي التِّئَامِنَا يَنْعَجِنُ الْوُجُودُ...
وَ الْعُمُرُ مُشْرِقٌ عَلَى رُبُوعِنَا
كَأَنَّهُ الْخُلُودُ...

* * *

وَ حَيِّ وَ نَوْرٌ أَيْضُ
تَغْتَسِلُ الذَّاتَانِ فِيهِ،
تَفْتَحَانِ أَفْقَ التَّجَلِّيِّ،
وَ تَحْمِلَانِ لَذَّةَ الْأَحْلَامِ

فِي عَالَمٍ يَأْتِقُ إِذٍ يَنَامُ،
وَلَذَّةَ التَّمَلِّي...

* * *

وَعِنْدَمَا يَنْدَفِقُ الْحُضُورُ
وَتَبْرُقُ الْأَشْيَاءُ فِي الظُّهُورُ
يَرْكَعُ فِينَا الْعَالَمَ الْمَسْحُورُ
كَأَنَّهُ يُصَلِّي...

يا ذاتي البَيضاء،
أَيُّ دَمٍ تَدَفَّقَ فِيَّ
حِينَ خَرَجْتِ مِنْ وَجَعِ الْغِيَابِ؟!
أَيُّ الْمَلَائِكِ رَنَّمَتْ فِي مَهْجَتِي
حِينَ انْسَحَبْتَ إِلَيَّ
حَامِلَةً ذُهُولَ الْخَلْقِ
مُفْتَرًّا عَلَى شَفْتَيْكَ

مِنْ أَلْتِ عُجَابٍ...؟
ذَاتَانِ مِنْ تَرْزِيمَةِ التَّكْوِينِ
تَأْتَلِقَانِ فِي عَصَبِ التَّجَلِّي...
ذَاتَانِ مِنْ نَارٍ وَنُورٍ
يَعْرِفُ الوَمَضَاتُ مِنْ غَوْرِيهِمَا
عَبَقَ التَّمَلِّي...
ذَاتَانِ أَصْفَى مِنْ صَفَاءِ الضُّوئِ
تَأْتَلِقَانِ فِي هَرَجِ المَدَى
بَعْدَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ مِنَ الضِّيَاعِ؛

كَأَنَّمَا الزَّمَنُ الَّذِي أَنْصَرَمَ
اشْتِعَالَ فِي التَّخَلِّي،
وَاللَّحْظَةَ الْبَلْهَاءُ دَهْرٌ
مِنْ ظَلَامٍ قَبْلَ أَنْ
كَشَفَ الصَّبَاحُ بَوَاجِهِكَ الشَّمْسِيَّ
عَنْ فَرَحٍ مُهَلِّ
وَتَوَالِدِ الْعُمُرِ الْجَدِيدِ مَنَائِرًا
فِي لَانِهَيَاتِ التَّوَحُّدِ ...
كُلَّمَا نَظَرْتَ إِلَى عَيْنَيْكَ عَيْنِي

وَلَدَّتْنِي نَظْرَةٌ مُشْتَاقَةٌ
وَتَوَالِدَ الْفَرَحِ الَّذِي ضَمَّ السَّمَاءَ إِلَيْهِ
فَانكَسَرَتْ تَقَاطِيعُ الْمَسَافَةِ
وَاخْتَرَفْنَا فُسْحَةَ الْأَبَدِ الْمَطْلُ...
يَا مَنْ تُعَرِّشُ فِي كِيَانِكَ
كُلُّ أَحْلَامِ الصَّلَاةِ،
وَيَرْتَمِي فِي شَعْرِكَ الْمِنْدَاحِ
خَتْمُ اللَّهِ،
فِي شَفَتَيْكَ رَجْعُ الْبَدءِ وَالتَّكْوِينِ،

مَا زَالَ الْوُجُودُ عَلَى كِيَانِكَ

مَلْعَبًا لِلْمُطَلَقِ الْمَفْتُوحِ

فِي أَسْرَارٍ وَوَحْدَتِنَا،

وَمَا زَالَتْ عُيُونُ السِّرِّ

فِي دَمِنَا تُصَلِّي ... -

دَمِنَا ثَمَارُ الْأَرْضِ

فِي عُرْسِ السَّمَاءِ،

وَالنَّاسُ حَوْلَ لِقَائِنَا

وَهُمْ،

وَأَشْكَالٌ هَبَاءٌ...

* * *

الْأَرْضُ حُلْمٌ

كَلَّمَا تَوَشَّحَتْ بِنَا

عَيْنُ الْوُجُودِ...

وَمِنْ لِقَائِنَا الْمَضِيِّ

يَنْبَثِقُ الْمَكَانُ مُزْهِرًا

وَيَفْقُدُ الْحُدُودَ،

وَتَكْشِفُ الْأَشْيَاءُ عَنْ

عَالَمِهَا الْخَبِيِّءُ...

* * *

النَّاسُ وَهُمْ،

وَالْوُجُودُ لُغَةً جَدِيدَةً

يَقْرَأُهَا الْآتُونَ مِنْ عَلٍ،

وَيَنْسُجُونَ مِنْ حُرُوفِهَا قَصِيدَةً

بِوَحْيِهَا تَشْتَعِلُ...

* * *

وَنَحْنُ فِي انْخِطَافِنَا الْغَرِيرِ

سِرَّانِ فِي خَاطِرَةِ السِّنِينِ
يُنَاجِيَانِ فِي أَرْجُوحةِ الحُبُورِ
قَصِيدَةَ التَّكْوِينِ...

أَلْتَمَّ فِي عَيْنَيْكَ
أَصْفَى مِنْ رَذَاذِ النُّورِ -
عَيْنَاكَ أَنْبِلَا جُ السِّرِّ
فِي وَحْيِ الْقَصِيدَةِ وَالْكِيَانِ ...
عَيْنَاكَ فِرْدَوْسِي
وَسِدْرَةُ مُنْتَهَايَ
إِذَا خَرَجْتُ مِنَ الزَّمَانِ ...

عَيْنَاكَ أَلْفُ قَصِيدَةٍ
ذَابَتْ بِلَحْظٍ وَاحِدٍ
حَرْفًا يَشْعُ بِهِ تُرَاثُ الْأَنْبِيَاءِ...
كَأَنِّي حِينَ انْبَعَثْتُ إِلَيْهِمَا
زَمَنَ الْبَيَاضِ الْمَسْتَحِيلِ
تَجَسَّدْتُ فِي الْأَمَانِيِّ،
وَارْتَقَيْتُ
مِنَ الثَّرَى الْمَحْضُورِ بِالْأَشْيَاءِ
نَحْوَ رَحَابَةِ الْأَلْقِ الْمَدِيدِ عَلَى السَّمَاءِ...

هنا تَماسَكَتِ الغَرايِبَةُ
وَهِيَ تَرَحَّلُ فِي القَصِيدَةِ،
وَاشْتَعَلْتُ بِعِشْقِي العُلُوِيَّ
أُنسى ما عَراني...!
كُلُّ انبِثاقٍ، بَعْدُ،
يَخْرُجُ مِنْهُما،
كُلُّ اصْطِفافاتِ المَدَى
فِي لُجَّةِ الفَرَحِ الوَسِيعِ...
أنا وَأَنْتِ...

وَشَهَقَةُ الْحُلْمِ الطَّوِيلِ
إِذَا تَغَلَّغَلَ فِي الثَّوَانِي
رُوحَانِ فِي رُوحٍ،
وَأَرْضٍ لَا حُدُودَ لَوْسَعِيهَا،
وَجُمُوحُ تَكْوِينِ
يُجَدِّدُ قَلْبَ عَالَمِنَا الْعَجُوزِ...
أَنَا وَأَنْتِ قَصِيدَةٌ مِنْ فَوْقُ
تَرْفَعُهَا الْمَلَائِكُ مِنْ حَنَاجِرِهَا
طُقُوسًا لِانْبِعَاطَاتِ الْمَكَانِ...

هَذَا هُوَ التَّارِيخُ، بَعْدُ:

أَنَا وَأَنْتِ -

شَرَارَةٌ

وَشَرَارَةٌ

وَشَرَارَتَانِ

تُنْصَبَانِ الْأَرْضَ بُسْتَانًا سَمَاوِيًّا

وَتَفْتَحَانِ تَكْوِينَ الْحُضُورِ.

إِذَا، لِمَنْ يَتَنَاسَلُ النِّسْيَانُ

فِي عُمُقِ الذُّوَاتِ؟

لِمَنْ
يَفُكُّ الْمَوْتَ أُحْجِيَةَ الْحَيَاةِ
وَيَرْتَدِي أَكْفَانَهُ الْبَيْضَاءُ؟ -
يُبْصِرُنَا الذَّهُولُ
وَيُشَاهِدُ الزَّمَانَ الْخَبِيثَ
تَحَرَّرَتْ مِنْهُ شَرَارَتُنَا،
وَيَسْمَعُ مَا يَقُولُ...
وَيَرَاهُ مُنْكَسِرًا
عَلَى الْعُمُرِ الَّذِي أَنْزَاكَ مَرَارَتُهُ،

وَعَيْبُهُ الْأَفْوَلُ.

عُمَرَانِ فِي اللَّاعُمِرِ

يَخْتَرِقَانِ خَارِطَةَ الزَّمَانِ

إِلَى مَوَاعِيدِ الصَّفَاءِ الْمُسْتَحِيلِ

وَيَخْرُقَانِ طَبِيعَةَ الزَّمَنِ الثَّقِيلِ

وَيَنْزَعَانِ عَنِ الرَّوَى

ثَقُلَ الْغِيَابِ

وَمَا يَزُولُ...

عُمَرَانِ فِي اللَّاعُمِرِ

يَنْتَزِعَانِ مِنْ أَبْدِيَّةِ الْأَحْلَامِ
مَا رَصَفَتْ حُرُوفُ الشِّعْرِ فِي وَلَهٍ
وَمَا عَشِقَ الْمَقُولُ...

* * *

عُمْرَانِ فِي عُمُرٍ
وَدَهْرُهُ مُسْتَجِدُّ،
وَالزَّمَنُ الصَّغِيرُ فِي أَيُّوْنَةِ النِّسْيَانِ
يَصِيرُ كَالْأَثِيرِ...
خَارِجَ الزَّمَانِ،

وَالْعُمُرُ لَا يُحَدُّ...

* * *

عُمْرَانِ فِي اللَّاعُمِرِ...

وَ حَدَّهُ الصَّفَاءُ

أَرْضٌ مِنَ السِّحْرِ

يَبْنِي مَعَارِجَ السَّمَاءِ

فِي فَجْرِنَا الْبِكْرِ...

* * *

عُمْرَانِ يَسْكُنَانِ لَوْنَ الرُّوحِ

وَعَالَمَ الرُّفُضِ،
وَيَعْشَقَانِ رِحْلَةَ التَّغْيِيرِ...
خَارِجَ الْوُضُوحِ
وَخَارِجَ الْأَرْضِ...

* * *

عُمْرَانِ أَضْفَى مِنْ أَثِيرِ
تَكْبِيرٍ فِيهِمَا أَجِنَّةُ السَّفَرِ،
وَيُولَدُ الضِّيَاءُ وَالْعَبِيرُ،
وَيُولَدُ الْقَدَرُ...

مَاذَا أَقُولُ إِذَا عَشِقْتُ تَوَاتُرِي

وَتَوَاتُرِي عِشْقِي

وَفِرْدَوْسُ أَبِي دُ؟

مَاذَا أَقُولُ

إِذَا احْتَرَفْتُ خُرُوجِي الْمَحْتَوْمَ

مِنْ هَذَا الزَّمَانِ؟

وَكَيْفَ يَسْكُنُ غُرْبَتِي الْبَيْضَاءُ

كُلُّ الْوَهْجِ،

وَالْأَلْقُ الشَّرِيدُ؟

مَاذَا أَقُولُ

وَقَدْ تَحَطَّمَ عُمْرِي الْمَحْبُوكَ بِالنُّقْصَانِ

وَالزَّمَنُ الْعَنِيدُ؟ -

كُلُّ الزَّمَانِ تَجَمَّعَتْ أَطْرَافُهُ

فِي لَحْظَةٍ

وَتَثَبَّتْ أَبَدِيَّةً بَيَضَاءً

مِنْ ثَلْجٍ وَنُورٍ

حِينَ وَشَحْنَا اللَّقَاءُ
وَآخَتِ الذَّاتَانِ بَعْضُهُمَا...
فَلا ذَاتَيْنِ
بَلْ كُونُ جَدِيدٌ...!
كُلُّ الزَّمَانِ تَنَاطَرَتْ ذَرَاتُهُ،
ثُمَّ اسْتَقَرَّتْ ذَرَّةً أَبَدِيَّةً
فِي رَوْعَةِ التَّكْوِينِ...
وَالْأَلْحَانُ وَسَّعَهَا غِنَاءُ سَرْمَدِيَّ
نَازِلٌ مِنْ فَوْقُ

يَحْمِلُهَا النَّشِيدُ:
هَذَا هُوَ الْأَفْقُ الْجَدِيدُ،
فَهَبْ مِنْ ذَاتِي إِلَى ذَاتِي،
يَا عُرْسًا تُوَلِّدُهُ الْغَرَابَةُ فِي السَّنَا،
وَاقْرَأْ حُرُوفَ السِّرِّ
مِنْ وَلِهِ،
وَعُدَّ، يُهَا الْوَلِيدُ،
طَفْرَاتِنَا فِي عَالَمِ الْأَبَدِ الطَّوِيلِ،
كَأَنَّمَا ضَاعَ الْمَكَانُ

عَلَى عُرُوقِ الْمُنْتَهَى وَاللَّامِكَانَ

بذاتنا الأبدية البيضاء

من زهو،

وأغوانا هنا العبق الجديد:

ذاتان في ذات،

وعمر جامع

أقوى من العمر المكبل بالحديد

يفوح منه الشعر

وَالزَّهْوُ الْمَجَنِّحُ،

وَالْقَصِيدُ...

* * *

الذَّاتُ لَيْلٌ أَيْضُ

أَصْفَى مِنَ السَّنَاءِ،

وَالْعَالَمُ الْوَلِيدُ كَالدُّخَانِ

تَنَشَّدُ عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ

فَتُولَدُ الْمَعَانِي...

* * *

الذاتُ لَيْلٌ أبيضُ
أوسعُ من صلاةٍ
يَغْمُرُنَا بِدَفْنِهِ الْوَيْثِرُ،
وَالْعَالَمُ الْمَرْزُوعُ بِالْحَيَاةِ
فِي ضَوْئِهِ يَطِيرُ...

* * *

الذاتُ لَيْلٌ أبيضُ
تَبْرُقُ فِيهَا الرُّوحُ،
تُعَانِقُ الْأَعَالِي،

وَالْعِشْقُ فِي مَقَامِنَا الْمَفْتُوحِ

يَزْهُو، وَلَا يُبَالِي...

- ٧ -

عَيْنَاكَ إِنْجِيلُ الْبِدَايَاتِ الْجَدِيدَةِ،
وَانبِثَاؤُكَ أَوَّلُ التَّكْوِينِ،
يَا رِثَّةَ الْقَصِيدَةِ...

عَيْنَاكَ فِرْدَوْسِي
وَتَرْزِيمُ الْمَلَائِكَةِ الَّتِي صَنَعَتْ
مِنَ الْعُمُرِ الْمُسَيِّجِ بِالْحُدُودِ
مَرَامِي الْأَبَادِ

تَغْرَقُ فِي أَرِيحِ الزَّهْرِ
وَالرُّؤْيَا الْبَعِيدَةَ...
عَيْنَاكَ كُلُّ نَقَاوَةِ الْأَحْلَامِ
تَرَشَّحُ مِنْ دَمِي،
وَتَمُدُّ آفَاقَ اللَّقِيَا
وَهِيَ تَخْرُجُ مِنْ فَمِي،
وَتُحِيطُ أَعْمَاقِي بِأَفْرَاحِ السَّدِيمِ -
هُنَاكَ أَحْلَامِي الْمَدِيدَةَ
وَمَدَى رُؤَايَ

إِذَا تَدَفَّقَ فِيهِمَا
نُورُ السَّكِينَةِ...
لَيْسَ بَيْنَ الصَّمْتِ وَالخَلْجَاتِ
غَيْرُ شَرَارَةٍ
أَصْفَى مِنَ الْهَذْيَانِ...
عَيْنَاكَ الرَّهَانُ الْمَسْتَحِيلُ عَلَى الْخُلُودِ
وَقِبْلَةُ الصَّلَوَاتِ
وَهِيَ تَطِيرُ فِي ثَلْجِ التَّوْحِيدِ -
كَيْفَ تَرْفُلُ فِيكَ أَحْلَامِي

فَأَزْهُوَ بَيْنَ أَمْدَاءِ السَّمَاءِ
وَسِدْرَةِ الْخَلْقِ الْجَدِيدَةِ؟
عَيْنَاكَ قَامُوسُ الْوُجُودِ
وَتَرْجُمانُ الشِّعْرِ
حِينَ يَصِيرُ نَبْضُ الْكَوْنِ قَافِيَةً
وَرَقْصُ الْقَلْبِ أَيْبَاتًا
وَأَخِيلَةً عَلَيْهِ...
عَيْنَاكَ مِبْخَرَتَانِ
يَرشَحُ مِنْ بَخُورِهِمَا

أثيرُ الروحِ
في فردوسِ أحلامي الطويلة...
هذا هو الحدُّ الأخيرُ من المدى
واللازوردُ سِياجُهُ،
واللانهايةُ ملعبُ لِكِياننا العُلويِّ.
هَذَا حَدُّنَا -

وَحُدُّوْنَا فِي الْمَطْلَقِ الْمَفْتُوحِ غَارِقَةٌ،
وَلَيْسَ لَنَا انْتِظَامٌ:
تَلْجُ وَتَلْجُ...

أَبْيَضَانِ عَلَى مَعَابِرِ خَلْقِنَا
وَالرَّفْضُ مِفْتَاحُ الَّذِي يَأْتِي
وَدَابُّ
لَا يُحَدُّ... وَلَا يَنَامُ...

* * *

عَيْنَاكَ إِنْجِيلُ الْبَدَايَاتِ الَّتِي
تُزِينُ الْكَوْنَ مَتَى ابْتَدَأَ
فَتَبَرَّقُ الْأَسْرَارُ فِيهِ كَالنُّجُومِ،
وَحِينَمَا يَحْفَهُ الصَّدَى

يَذُوبُ

كَالرِّذَاذِ فِي التُّخُومِ...

* * *

عَيْنَاكَ أُغْنِيَهُ

تَرْقُصُ فِي إِيقَاعِهَا السَّمَاءَ،

وَالْعُمُرُ جَنِيَهُ

يَغْمُرُهَا الْبِهَاءُ...

* * *

عَيْنَاكَ صَوْتُ الشِّعْرِ،

حُرُوفُهُ نَارٌ سَمَاوِيَّةٌ
تَرْسُمُ وَجْهَ الْفَجْرِ،
وَالْأُنْفُقُ حُورِيَّةٌ.

* * *

عَيْنَاكَ مِفْتَاحُ الْخُلُودِ
وَسُورَةٌ بَيضاءُ عَلْوِيَّةٌ
يَطْلُعُ مِنْ غُورَيْهِمَا الْوُجُودُ
فِي لَمْعَةٍ وَرَقَاءٍ زَهْرِيَّةٍ...

أَللَّيْلُ يَنْبُضُ بِالنُّجُومِ
وَكَلُّ نَجْمٍ
يَعْرِفُ الْأَسْرَارَ مِنْ عَيْنَيْكَ
يَا امْرَأَةً

مِنَ الْعَبَقِ الْأَثِيرِيِّ الْمَحَالِ...
وَالْكُونُ يَخْرُجُ مِنْ كِيَانِكَ
حِينَ يَزْفُلُ فِي كِيَانِي

وَهُوَ يَبْرُقُ كَاللَّائِي ...

كَوْنٌ بِلا زَمَنِ

وَلَا أَرْضٍ

تُوَلِّدُهُ يَدَاكَ مِنَ الْعَدَمِ

وَتَسِيلُ مِنْ شَفَتَيْكَ أَنْغَامُ السَّمَاءِ

لِتُوقِظَ الْغُفْرَانَ

فِي صَفْوِ النَّدَمِ ...

عُمُرَانَ ...

أَصْفَى مِنْ سَنَا التَّكْوِينِ

يَأْتِلِقَانِ فِي اللّٰوَقْتِ -

هَذَا فَجْرُنَا!

وَلِقَاؤُنَا

ذَابَتْ بِهِ كُلُّ الْجِهَاتِ

فَلَا جِهَاتٍ سِوَى تَوَاتُرِنَا

كَأَنَّ الْكُونَ مَا كَانَتْ وِلَادَتُهُ

وَلَا وَطِئَتْ قَدَمٌ...

عُمْرَانِ...

فِي فَجْرِ التَّوْحِيدِ

يُشْرِقَانِ ...

وَيَكْشِفَانِ طَبِيعَةَ التَّكْوِينِ:

لَا نُقْصَانُ يَكْشِفُهُ الزَّمَانُ،

وَلَا سَدَمٌ ...

لَا شَيْءَ

غَيْرَ مَدَى مُصَفًّى مِنْ رَذَاذِ الضَّوِّءِ،

يَعْقُبُهُ مَدَى وَمَدَى

مِنَ الزَّهْوِ الطَّوِيلِ

كَأَنَّ هَذَا الْكَوْنَ ضَوْعُ الشِّعْرِ

فَاضَ بِهِ الْقَلَمَ ...

أَلشَّعْرُ وَجْهَهَا الَّذِي يَمْتَدُّ كَالْأَثِيرِ
وَيَغْزُلُ الْوَقْتَ الطَّوِيلَ فِي حُرُوفِهِ،
وَالكُّونُ أَبْجَدِيَّةً ...

وَيَبِينُ ذَاتِنَا

الَّتِي تَرْفُلَانِ فِي الْعَبِيرِ

لَا شَيْءَ ...

غَيْرَ قَفْزَةٍ إِلَى الْأُفُقِ الْكَبِيرِ

وَالْعِشْقُ فِي مَسَارِنَا الْقَضِيَّةِ ...

ذَاتَانِ فِي ذَاتٍ ...

وَكُلَّمَا تَأَخَّتِ الْأَشْيَاءُ فِي اتِّحَادِنَا

تَوَسَّعَ الْمَدَى ...

وَاحْتَرَفَتْ أَحْلَامُنَا الرَّحِيلَ

فِي حَدَائِقِ الصَّدَى ...

وَكُلَّمَا تَأَوَّهَتْ قَصِيدَةٌ عَلَيَّ جُفُونِنَا،

وَكُلَّمَا زَهَا الْجَمَالُ فِي عُرُوقِنَا

تَكْسَرَ الردى

وَارْتَدَّ مَهْزُومًا إِلَى نُفُوسِنَا...

أَنَا وَأَنْتِ فِي قَرَارَةِ الذُّهُولِ

حُلْمَانِ أَخْضَرَانِ

يَكْشِفَانِ لِلْخَلَائِقِ الْأَسْرَارَ وَالْجَمَالَ...

وَالْعُمُرُ صَفْحَةٌ مِنْ سَحْرِ

تَنَاءَتْ فِي فَرَحِ الْحُقُولِ

تَقُطُّفُ مِنْ كِيَانِنَا الْكَمَالَ...

أَنَا وَأَنْتِ خَطْرَةٌ

نابضةً في رئةِ الوجودِ

تَقْطُفُ مِنْ مَنَابِعِ الإِلْهَامِ عَطْرَهَا

وَمِنْ أَنَاشِيدِ السَّمَاءِ صَوْتَهَا وَلَوْنَهَا

وَتَمْسُحُ الزَّمَانَ فِي اسْتِطَالَةِ الْعُقُودِ...

عُمُرَانِ فِي عُمُرٍ

وَلَا حَدًّا لَنَا -

كَأَنَّنا نَرْفَعُ عَنْ مَكَانِنَا

تَرَائِكُمُ الحُدُودِ...

لَا شَيْءَ بَيْنَنَا...
لَا شَيْءَ يُوقِفُ ارْتِقَاءَنَا
إِلَى مَحَجَّةِ الْخُلُودِ...

أَنَا وَأَنْتِ خَطْرَةٌ
مِنْ فَرَحِ الْفَرْدُوسِ وَالْعَبِيرِ
وَزَفْرَةٍ مِنْ نَفْسِ الْقَدِيرِ
تَكُونَتْ فِي خَارِجِ الْأَمْدِ
وَأَنْشَطَرَتْ ذَاتَيْنِ فِي انْحِدَارِهَا

وَالتَّامَتْ حِينَ التَّقَتْ بِصِنُوهَا

وَابْتَدَأَ الْعَدَدُ

مِنْ أَوَّلِ الْأَعْدَادِ،

وَأَنْتَهَى

فِي أَوَّلِ الْأَعْدَادِ -

كُلُّ مُسْتَحِيلٍ صَارَ مُمَكِّنًا

فِي الْمُنْتَهَى الْأَخِيرِ،

وَاللَّيْلُ حَرْفٌ فِي قَصِيدَةٍ،

وَالشِّعْرُ مِفْتَاحُ الْعُبُورِ وَالْمَصِيرِ،

وَالْوَحْيِ جِسْرٌ لِلأَبَدِ...
وَ حِينَمَا انشَقَّ ضَبَابُ الخَلْقِ عَن مَخْلُوقِهِ
وَ كُنْتَ أَنْتِ،
وُلِدْتُ فِي عَيْنَيْكَ مُتَعَةً البَرِيقِ،
وَمُنْذُ كُنْتُ
تَأَلَّفْتُ فِي ذَاتِنَا حَدَائِقُ النِّعَمِ
وَ اسْتَقَرَّتْ شُعْلَةُ الحَرِيقِ...
أُفْقَانِ...
أَصْفَى مِنْ غِنَاءِ المَسْتَحِيلِ

حِينَ يَمْسَحُ الْمَكَانَ لَوْنُهُ،

فَجَرُّ وَفَجْرٌ:

شُعْلَتَانِ مِنْ مَنَابِعِ التَّكْوِينِ

تَرْسُمانِ وَجْهَةَ الطَّرِيقِ...

رَقَدَ الصَّفَاءُ عَلَى التَّنَامِ الرُّوحِ

فَانْبَثَقَ السَّنَا،

وَتَدَقَّقَ الْوَحْيُ الْإِلَهِيَّ الْمَضِيءُ

عَلَى حُرُوفِ الشِّعْرِ،

وَأَمْتَدَّتْ تَوَاشِيحُ الرُّؤْيَى

فِي قَلْبِنَا...

هَجَعَ الْأَثِيرُ عَلَى امْتِدَادِ الرُّوحِ

فَانْكَسَرَتْ مَسَافَاتُ الْمَكَانِ

وَرَدَّنَا قَبْسُ

إِلَى فَجْرِ الْوُجُودِ -

فَكُلُّ شَيْءٍ غَارَقَ فِيْنَا هُنَا،

وَالْكَوْنُ مُنْتَظِمٌ بِنَا... .

وَالْخَلْقُ سِرٌّ طَافِحٌ

مُتَدَفِّقٌ مِنْ عِشْقِنَا... .

هَذَا هُوَ الْعِشْقُ الْأَخِيرُ،

فَعُدْ، يُهَا الزَّمَنُ الثَّقِيلُ،

وَشُدَّ، يَا سَأَمَ الْمَكَانِ،
مَلَامِحَ الْأَشْيَاءِ بِالْأَعْلَى،
وَهُبَّ، يُهَا الْخُلُودُ...
كُلُّ الْمَدَى طَارَتْ بِهِ رُوحِي وَرُوحُكَ
نَحْوَ جَنَّاتِ الْإِقَامَةِ،
وَأَنْتَرَعْنَا لَعْنَةَ الْعُمَرِ الثَّقِيلَةِ
مِنْ خَلَايَانَا،
وَشَعَّ بِنَا الْوُجُودُ...
أَلْقَى عَلَيَّ أَلْقَى،

وَعُمُرٌ لَيْسَ يَدْرِي مَا الزَّمَانُ،

يَطِيرُ فِي أَفُقِ الْبِهَاءِ قَصِيدَةً

إِيقَاعُهَا مِنْ قَلْبِنَا،

وَحُرُوفُهَا مِنْ لَوْنِ دِفْنِكَ...

لَيْسَ يُغْرِيهَا سَوَانَا،

وَالْحُدُودُ

سَقَطَتْ...

فَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ

غَيْرُ ذَاتَيْنَا،

وغيرُ المطلقِ المفتوحِ للأبَدِ...

لا إيقاعَ

غيرُ غناءِ رُوحينا،

ولا عطرُ

سوى عبقِ الضياءِ...

وحولنا أفقُ شرودُ...

نورٌ على نورٍ...

كأنَّ اللهَ في هيماننا المفتوحِ للدُّنيا

يُباركُ رحلةَ الألقِ التي لا تنتهي،

وَكَأَنَّمَا الْأَلْتُ

يَمْتَا حِ مِنْ عَيْنَيْكَ

مَا يُعْطِيهِمَا الْإِشْرَا قَ مِنْ رُوحِي

وَيَغْرُقُ فِيهِمَا،

وَكَأَنَّمَا الشَّفَقُ

لَا يَقْرَأُ الدُّنْيَا

سِوَى حَرْفِ بَرُّوحِينَا

أَشَدَّ سَنًا مِنْ اللَّمْعِ

الَّذِي يُغْرِي الصَّلَاةَ بِنَا

وَيَأْتَلِقُ...

نُورٌ عَلَى نُورٍ...

وَرُوحَانَا نَشِيدٌ مُسْتَحِيلٌ

يَحْتَوِي لَحْنَ الْمَلَائِكِ

وَهِيَ تَغَزِلُهُ

وَتَصْطَفِقُ...

وَالْخَلْقُ مُنْبَثِقٌ بِنَا...

حَتَّى كَأَنَّ الْأَرْضَ

تَغْرَقُ فِي بَخُورِ الْعِشْقِ ذَاهِلَةً،

وَتَنْبِئُ...!

* * *

نُورٌ عَلَى نُورٍ...

وَأُفُقًا مُشَرَّعٌ

لِلْعَبَقِ الْآتِي مِنَ الْأَعْمَاقِ.

أَنَا وَأَنْتِ قِصَّةٌ

مِنْ فَرَحٍ

يَعْبُقُ بِالْآفَاقِ،

مِنْ حُلْمٍ

تَحْمِلُهُ الْأَشْوَاقُ
أُسْطُورَةٌ جَدِيدَةٌ تَنْزِلُ مِنْ سَمَائِهَا
هَدِيَّةٌ لِلْعَالَمِ الْجَدِيدِ -
لِلْعَالَمِ الْمَقْدُودِ مِنْ كَيَانِنَا،
مِنْ فَرَحِ الْأَحْدَاقِ،
مِنْ عُرْسِ حُلْمِنَا الْمَدِيدِ...

* * *

أَنَا وَأَنْتِ قِصَّةٌ
أَرْوَعُ مِنْ غَرَابَةِ التَّكْوِينِ

تَنْسُجُ مِنْ أَعْمَاقِنَا
أَرْضًا مِنَ الْحَنِينِ...
وَتَرْسُمُ الْأَشْيَاءَ فِي قَرَارِنَا
فَاتِحَةً لِنِكَهَةِ الصَّلَاةِ،
لِحُلْمٍ يَضِجُ بِالْحَيَاةِ
فِي عَالَمٍ دَفِينٍ...

* * *

أَنَا وَأَنْتِ قِصَّةٌ
أَقْوَى مِنَ الْمَكَانِ،

تَخْتَصِرُ الْآبَادَ وَالزَّمَانَ،
وَتُبْدِعُ الْأَشْكَالَ فِي أَرْجُوْحَةِ الْأَبَدِ،
تَمْسُحُ فِي التَّامِّهَا الْعَدَدُ،
كَأَنَّهَا تَصْنَعُ مَرَّةً ثَانِيَةً
بِدَايَةَ الْإِنْسَانِ ...

* * *

أَنَا وَأَنْتِ شُعْلَةٌ
مِنْ نَفْسِ السَّمَاءِ
تَنْزِلُ نَحْوَ الْأَرْضِ

أَصْفَى مِنَ الْبَهَاءِ،
تَفْتَحُ بَابَ الرَّفْضِ!

* * *

أَنَا وَأَنْتِ وَطَنٌ لِلْأَلْقِ
يَخْرُجُ مِنْ خُلَاصَةِ الْأَحْلَامِ،
يَضُوعُ مِنْ حُدُودِهِ الْعَبِيرُ وَالسَّلَامُ،
مُحْتَضِنًا كِيَانَنَا فِي الْعَبَقِ...

* * *

أَنَا وَأَنْتِ لُغَةٌ جَدِيدَةٌ

لِكُلِّ مَا يُقَالُ

فِي شَيْخُوخَةِ الزَّمَانِ،

لِلشَّعْرِ،

لِلْمَعَارِجِ الْمَضِيئَةِ،

لِلنُّورِ

حِينَ يَغْمُرُ الْمَكَانَ ...

حُرُوفُهَا زَوْبَعَةٌ تُجَدِّدُ الْإِنْسَانَ،

تَفْتَحُ بَابَ الرَّفْضِ وَالْخَطِيئَةِ ...

* * *

أَنَا وَأَنْتِ لُغَةٌ جَدِيدَةٌ

تَنْزِلُ مِنْ فَوْقُ

إِلَى أَرْضِ الْبَشَرِ

عَظِيمَةً،

رَاسِخَةَ الْحُرُوفِ كَالْقَدَرِ...

لِتَبْدَأَ الْقَصِيدَةَ:

رُوحٌ وَرُوحٌ فِي كِيَانٍ وَاحِدٍ

يَحْمِلُهُ النُّورُ وَأَحْلَامُ السَّفَرِ...

وَكُلَّمَا انْتَهَى إِلَى السَّمَاوَاتِ الْبَهِيَّةِ

أَرَّخَ لِلْعِشْقِ بَدَايَةَ سَنِيَّتِهِ،
وَفَاضَ فِيهِ الشَّعْرُ
مُغْنِيًّا، مُؤْتَلِقًا كَالسِّحْرِ،
يَقْرَأُ آيَاتِ الْحُضُورِ لِلْبَرِيَّةِ،
يَبْدَأُ سَفْرَ الدَّهْرِ،
وَالْكَوْنُ أَبْجَدِيَّةٌ...

(٩ حزيران - ٢٩ تموز ٢٠١٣)

